وعلى الجانب المعادي هناك قضايا كثيرة معقدة اولها طبعا العامل الصهيوني الذي استطاع أن يستغل ظروفا اوروبية تاريخية واجتماعية وسياسية من أجل خلق حركة استعمارية استيطانية لفئات من الناس موزعة على امتداد اقطار العالم كله تجمعها ظاهريا عصبية دينية مشتركة وترتبط قياداتها ومؤسساتها ارتباطا عضويا بمصالح واستراتيجيات امبريالية ميدانها الاساسي فلسطين والمنطقة العربية المحيطة بها وتمتد لتشمل ميادين اخرى كثيرة في المناطق المجاورة وفي افريقيا بوجه خاص . وقد نجح العامل الصهيوني في تحقيق تحركين ما زالا حتى الان في مرحلة مد ديناميكي : الاول التحالف مع المصالح الاستعمارية في المنطقة دون ارتباط رئيسي مستمر بدولة استعمارية معينة بحيث أمكن للحركة الصهيونية دائما ان تنقل مركز ثقل التحالف حسب تغيرات الوضع الدولي ، فمنذ مطلع هذا القرن حتى نهاية الحرب العالمية الثانية كانت بريطانيا هي المفضلة وبعد الحرب العالمية الثانية انتقل مركز الثقل الى اميركا بعد بروز الاخيرة كقوة استعمارية كبرى في العالم ، الا ان مركز الثقل لا يعني فك الارتباطات ذات المستوى الادنى. فقد شهدت سنة ١٩٥٦ مثلا تحالفا اسرائيليا بريطانيا فرنسيا ، وقد استطاع رأس المال الصهيوني ان يضمن استمرار هذه التحالفات بدرجات متفاوتة من القوة ، وان كانت التناقضات الداخلية بين الدول الرأسمالية قد بدأت مجددا تؤثر بشكل أوضح في علاقة دول اوروبا الغربية واسرائيل . على أنه يبقى صحيحا ان ارتباط اسرائيل بالمصالح الاستعمارية هو ارتباط عضوي يتخذ طابعا خاصا بسبب عوامل كثيرة اهمها قوة النفوذ الصهيوني في جميع اقطار المعسكر الاستعماري . أما التحرك الثاني الذي نجحت الحركة الصهيونية في تحقيقه فهو خلق حقائق بشرية وسياسية واقتصادية وعسكرية في المنطقة . ومهما قيل عن العون الخارجي الذي يتلقاه العدو الاسرائيلي ، ومهما قيل عن المساعدات العسكرية التي تغدق له بسخاء،ومهما قيل عن الدعم السياسي الذي تحاط به الدولة الصهيونية في فلسطين فان هناك حقيقة ثابتة يجب ان يعرفها المرء ويعترف بها ويتصرف على أساسها ، وهي أن الجانب الاسرائيلي يحسن الاستفادة من ظروفه الداخلية والخارجية وان أية مساعدة خارجية مهما بلغت لا يمكن ان تصنع انتصارا كالذي حدث في الايام الستة من حزيران ١٩٦٧ . وهكذا نجد على طرف من اطراف الصراع اناسا يخلقون من الباطل حقا ومن الوهم واقعا وعلى الطرف الاخر اناسا يفرطون بحقهم حتى يبدو كالباطل وينحدرون بواقعهم الى درجة الوهم. وتتشابك علاقات كل من الطرفين مع العالم الخارجي كما تتشابك العلاقات الداخلية لكل طرف بحيث يصبح اي تعميم حول الوضع في المنطقة نوعا من التبسيط القسري الذي يتضمن نسبة كبيرة من الخطأ .

في وسط هذا الجو المعقد وفي بقعة من الارض تتعلق بها مصالح القوى العالمية من جهة ، والعواطف الدينية والتاريخية والخرافية لمئات الملايين من سكان الارض من جهة أخرى ، يتحرك شعب صغير مشتت لاستعادة حقه الاساسي ، حقه في ان يعيش فوق ارضه وان يمارس سيادته عليها ضمن الحدود المعقولة لاي شعب صغير ناشىء في منطقة مستهدفة اقتصاديا وعسكريا من قبل الامبريالية ، في منطقة ناشئة لم تسمح لها الحملة الامبريالية المستمرة بأن تحقق اي احراز ملموس لمجابهة التحدي الحياتي او العدو المشترك . في مثل هذه المنطقة التي تشعر بانها ما زالت بعيدة عن تحقيق اهدافها السياسية والاقتصادية والاجتماعية (الاستقلال والوحدة والتطور اللارأسمالي)، في منطقة عانى شعبها من ذل هزائم عسكرية متوالية طوال ربع قرن على يد عدو استهان به في اول الامر ، في مثل هذه المنطقة يغري الفراغ السياسي والنفسي اي تحرك ثوري بتحميل نفسه اكثر مما تحتمله المرحلة ويدفعه دفعا الى تعجل المراحل وحرقها ويعطيه من الدوي والطنين الخاويين ما يجعله هدفا سهلا للتورط والانزلاق والتفتت. الم يكن هذا هو مصير جميع الحركات الثورية العربية خلال ربع القرن الماضي . ان الخط البياني